الأخلاق عند الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) بين الدين والفلسفة

في كتابه إحياء علوم الدين (دراسة مقارنة)

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية- جامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في العقيدة والدعوة والفكر

قدّمها الطالب

أحمد زغير عبد صالح الحلبوسي

بإشراف

أ.د. إبراهيم رجب عبدالله العاني

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

المقدمة

الحمد لله منشأ الوجود من عدم بعدما الظلام عمَّ، فالق الأصباح وأبرَّ النسمَ، خلقَ الإنسان في أحسن تقويم، ما من شيءٍ إلا خاضعٌ تحت سلطانه، والصلاة والسلام على صاحب الخُلُق العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل:((إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق))[1]، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى جعل ميزان التفاضل بين الناس التقوى وهو الطريق المنبثق من روح الإسلام؛ ليكون الضابط والأساس والمنهج لعموم البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأزمانهم وأماكنهم، فأنشأ الأركان والخصائصُ الفريدةِ المدهشةُ كالشموليةِ والوسطيةِ والواقعيةِ. لذا فإنَّ الأخلاقُ هي الحدُّ الفاصل التي أعتمدها الإسلامُ في بناء الفرد والأسرة وإصلاح المجتمع إذ بها تتم السعادة في الدنيا والآخرة.

تعد الأخلاق الصورة الكاملة الجلية السامية والفطرة النبيلة الحاضرة التي تكون أساساً شامخاً لإرساء العلاقات بين الإنسان والموجودات، إذ إنَّ أخلاق الإنسان هي صلته بذاته ومع من حوله، وتعامله مع الآخرين وهي المعاني والمفاتيح؛ لبناء تسير الحياة وفق القوانين والأنظمة، فهي السور العالي المنيع من الإنحراف والعوق والإبتعاد عن الجادة، بها تعلو الأمم وترفع مجدها لتكون حاضرة يقتدى بها، وقد جاءت العناية والإهتمام في جميع الشرائع والأمم بوضع ما هو أحوط، والتماسك والحراسة والحذر من الأمراض الأخلاقية التي تحط المجتمع وترديه إلى الهاوية، لذا نجد أنَّ تاريخنا الإسلامي يصف لنا حال الأمة وكيف نهضت من بين الأمم والحضارات وكيف ازدهرت وتطورت كل ذلك كان بفضل أبنائها الذين رسخوا وأثبتوا ذلك بالأخلاق الحميدة والسيرة الفاضلة والنفوس الجبارة والهمم العالية، فلم تنظر أعينهم ولا يخطر ببالهم ولم تتعلق الشهوات والملذات في قلوبهم، بل كانوا على قدر عالٍ وسامٍ من الإتصاف والعمل بالقيم والمبادى والآداب. فالأخلاق الإسلامية تهدف إلى تحقيق التكامل الاجتماعي والتكاتف الديني والمالي للوصول بالإنسان إلى السعادة الحقة. لذا مهما أختلفت الأمم أو

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٩ – ١٩٨٩م)، باب حسن الخلق، (١٠٤)، برقم (٢٧٣).

الأجناس أو الأشخاص تبقى دائرة الأخلاق تدور حول السعادة، وفي دراسة علم الأخلاق يوجد أكثر من اتجاه عام في الجانبين القديم والحديث، فالتصور اليوناني يدور محوره حول "السعادة"، وكان أصحاب المذهب السفسطائي يرون أنها تنحصر في اللذة الحسية، أما الفلاسفة فيرونها في اللذة العقلية، أما في المفهوم الديني الإسلامي فالأخلاق طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

أهمية الموضوع:

إنَّ تاريخنا العربي الإسلامي لازال غنياً بالأعلام، وغنياً بكثيرٍ من المؤلفات الضخمة في مسائل الأخلاق الإسلامية، ولأننا ندعم ونهتم بإحياء تاريخنا الإسلامي الزاخر بالمؤلفين والمفكرين، فقد قمنا بدراسة متواضعة نظهر فيها الفكر الأخلاقي عند أحد مفكرينا وهو "**أبو حامد الغزالي**" فهو من فلاسفة المسلمين المصلحين في الإسلام، كما واعتنى بالبحث في المسألة الأخلاقية وعلاقتها بالإنسان، وكما يعلم الجميع أننا في زمن تتسابق فيه الأمم والشعوب لتتفاخر بمنجزات مفكريها، فكان واجباً علينا أن نعود قليلاً الى ماضي تاريخنا وننفض عنه الغبار لتتضح لنا الرؤيا ونرى بوضوح ما خلفه لنا علماؤنا من إبداعات لا يمكن الاستغناء عنها.

ومن هنا نطرح الإشكال الآتي: ما منهج الفكر الأخلاقي عند الغزالي؟ وما الأسس التي تقوم عليها القيم الأخلاقية عند الفيلسوف والتي تندرج تحت مجموعة من التساؤلات؟

١- ما أهم المضامين الأخلاقية التي تطرق لها كتاب إحياء علوم الدين .

٢- كيف يمكن للإنسان تحصيل السعادة ؟.

٣- ما أهم المضامين الدينية والفلسفية التي نظر إليها في إحيائه؟.

٤- ما مفهوم الأخلاق عند الغزالي وعلاقتها بالتصوف في إحيائه ؟.

٥- وما المنابع التي استسقى منها الغزالي ؟

أسباب اختيار الموضوع:

إنَّ سبب اختيار هذا الموضوع "الأخلاق عند الإمام الغزالي(ت ٥٠٥هـ) بين الدين والفلسفة في كتابه إحياء علوم الدين (دراسة مقارنة) "يعود لسببين اثنين:

أحدهما: ميلي إلى الدراسات الأخلاقية منذ مدة وذلك لإثراء رصيدي العلمي والمعرفي في هذا الموضوع.

والآخر: يرى بعض الباحثين أنَّ هناك نقصاً في الرسائل الفلسفية الدينية الأخلاقية عند مفكري الإسلام بالمقارنة بدراساتهم المتنوعة في المنطقيات والإلهيات والطبيعيات فكان اختياري لهذا الموضوع سببه تفنيد هذا الرأي، واثبات العكس.

الدراسات السابقة:

عن طريق البحث والاستقصاء فإني وجدت فيما اطلعت عليه كثير من الرسائل والأطاريح قد تطرّقَت إلى موضوع الأخلاق، لكن تميّزت رسالتي أنها قارنت الأخلاق بين الدين والفلسفة في كتاب الإحياء للإمام الغزالي(رحمه الله)، وكان مما تشابه منها رسائل نذكر منها:

١- (فلسفة الأخلاق بين ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي)، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة – الجزائر – مقدمة من الباحثة: إيمان فايد، بإشراف: الأستاذ خشعي عبد النور،(٢٠١٧م-٢٠١٨م).

٢- (الأخلاق عند الغزالي) اطروحة دكتوراه مقدمة من الطالب زكي مبارك، من الجامعة المصرية، القاهرة، قسم الفلسفة، (٢٠١٢م).

الصعوبات التي واجهتني في كتابة البحث:

١- صعوبة التعامل مع بعض النصوص الفلسفية ولعدم إلمامي بالفلسفة وموضوعاتها المتشعبة وبسبب توسع دائرة الأخلاق .

٢- لم أجد كلامًا للفلاسفة اليونانيين يخص بعض الفضائل كالتوبة والشكر؛ لأقوم بمقارنتها بكلام المسلمين فإنَّ هذه الفضائل خاصة – تقريبًا – بالدين الإسلامي، وذلك لندرة المصادر الفلسفية الخاصة بالفضائل لأنهم قلّما تكلموا عن ذلك في كتبهم.

أهداف دراسة الموضوع:

أما الأهداف المرجوة من وراء هذه الدراسة فهي:

١- إثبات أن هناك فلسفة أخلاقية دينية إسلامية واضحة المعالم والغزالي في كتابه إحياء علوم الدين كنموذجاً لذلك .

٢- توضيح مفهوم الأخلاق عند الغزالي وعلاقتها بالدين والفلسفة .

وأما المنهج المتبع في عرض المسائل ودراستها فكانت على النحو الآتي:

١- بسط أقوال الإمام الغزالي في المسائل الأخلاقية في كتابه "إحياء علوم الدين" مع مقارنتها مع ما ذكره العلماء وفلاسفة الإسلام وفلاسفة اليونان.

٢- اتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي والمقارن في تحليل كتاب الإحياء للعزالي .

٣- الرجوع إلى المصادر التي ذكرها الإمام الغزالي في كتابه "الإحياء" التي نقلها، أو أقوال العلماء وعزوها إلى مظانها في الهامش.

٤- قمت بترجمة الأعلام المذكورين في البحث لأول مرة ورد ما عدا الصحابة(رضي الله عنهم).

٥- كتابة الآيات القرآنية على وفق الرسم العثماني لمصحف المدينة المنورة.

٦- قمت بتخريج الأحاديث النبوية التي وردت في البحث من مصادرها المعتمدة، فإن وجدت الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت به، وأذكر الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث، فإن لم يكن الحديث في الصحيحين خرجته من الكتب الأخرى ثم حكم الحديث عمَّن خرجه.

٧- قمت ببيان معاني الكلمات الغريبة إن وجدت في البحث، مستعملاً معاجم اللغة العربية.

٨- قمت باستعمال بعض الرموز لتتميز بعض الأقوال عن بعضها، فأذكر الآيات القرآنية وأضع لها قوسين مزهرين:﴿﴾، ووضعت للأحاديث قوسين هلالين (( )) ، وأما الأقوال النصية فوضعت علامة الإقتباس " "، وبعض الكلمات أو العبارات فوضعت لها القوسين ( ) .

٩- أما في جانب المقارنة بين الغزالي والفلاسفة، فإذا لم أجد عند فلاسفة اليونان كلاماً في فضيلةٍ ما فإني لم أقارن لها مع الغزالي وأكتفي بالمقارنة مع فلاسفة وعلماء الإسلام.

١٠- أما المصادر والمراجع فكان ترتيبي لها حسب الحروف الهجائية؛ ليسهل على القارئ الوقوف عليها .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون مقسمة على النحو الآتي:

بدأت رسالتي بمقدمة بينتُ فيها أهمية الموضوع، والأسباب التي دعت لاختيار العنوان، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سرت عليه، ثمَّ شرعتُ إلى ما يأتي:

- تعريف موجز بترجمة لحياة الغزالي وشخصيته العلمية.
- مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً.

– مفهوم الأخلاق عند الغزالي وعلاقتها بالدين والفلسفة في كتاب الإحياء.

وعلى أساس الإجابة على هذه التساؤلات رسمنا خطة البحث المكونة من مقدمة وأربعة فصول كانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: السيرة الذاتية والعلمية للإمام الغزالي.

الفصل الثاني: النظم الأخلاقية بين الدين والفلسفة عند الإمام الغزالي.

الفصل الثالث: الفضائل الأخلاقية بين الدين والفلسفة عند الإمام الغزالي.

الفصل الرابع : الرذائل الأخلاقية بين الدين والفلسفة عند الإمام الغزالي.

ثم الخاتمة وتضمنت النتائج، ثم المصادر والمراجع، وملخص باللغة الإنكليزية .

وختاماً لا يسعني إلا أن أضع هذا الجهد المتواضع بين يدي أساتذتي الكرام الذين سيتفضلون بقراءة وتقويم ومناقشة رسالتي هذه، ولن تكسب الرسالة قيمتها إلا بتوجيهاتهم وبتقويمهم السديد، سائلاً المولى (عز وجل) أن يمنَّ على الجميع بالسداد والتوفيق والنجاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .